

## دور المرأة وإسهاماتها في المجتمع الأندلسي الإسلامي The Role of Women in Islamic Andalusian Society

د/عبدالمجيد البغدادي(أستاذ مساعد،قسم اللغة العربية،جامعة العلامه إقبال المفتوحة،إسلام آباد)  
د/غلام أحمد(أستاذ مساعد،قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية،جامعة الكلية الحكومية،فيصل آباد)

### Abstract

The Southern Spain is a part of Andalus or Andalusia region which is a big region. It is a European country and has a great significance in the region. As far as the beauty is concerned, Southern Spain is one of the most beautiful areas with a charming natural beauty. Its natural beauty always attracts the world towards it.

This country is divided geographically into two parts: Upper and Lower Andalus, The upper is the north of Al Wadi Al Kabir and the Lower is southern part. In the days of Arabs Andalus was limited to Eshbilia, Qertaba, Jian, and Ghernata.

The women folk then used to be active participants and integral part of the Andalusian society. That was the best era for them to get much recognition and make themselves prosperous to move higher in the society. Women achieved high status in the society which they fully enjoyed. They had better opportunities for development in that community as compared to the rest of Arab and Islamic countries.

This article is about the status of the women who occupied a prominent place in Andalusia. They benefited and enjoyed power derived from being literate. Andalusian women became educated and learned cultural traits and the Andalusian men paid thorough attention towards the literacy of their daughters and wives. They would appoint special teachers for them and there was no discrimination in the education of a male child and that of a female child. This was the reason that the women were equally highly educated.

**Keywords:** Andalusia, Women, Society, Role, Cultural.

### الأندلس

إن الأرض كانت تدعى "بالأندلس" في الدولة العربية، هي عرفت بإسم "أيبيريا" في أقدم العصور حين سكن فيها "الأيبريون" الذين كانوا من أقدم من أقام في هذه البلاد، وبعد ذلك سميت "بإسبانيا" كما يقول المقرى في كتابه: "ثم صار ملك الأندلس بعدهم إلى عجم رومة وملكهم أشبان بن طيطش وبإسمه سميت الأندلس "إشيانية"<sup>1</sup> وأما المعنى فقد صار جنوب شبه الجزيرة فقط .

بعد أن كان أطلق على شبه الجزيرة جميماً<sup>2</sup> لكن وجدت تعليقات أخرى لتسمية شبه الجزيرة بإسم الأندلس وهي كما كتب المقرى في كتابه نفح الطيب: "أول من سكن بالأندلس على قديم الأيام فيما نقله الأخباريون من بعد عهد الطوفان على ما يذكره علماء عجمها قوم يعرفون بالأندلش، معجمة

الشين، بهم سمي المكان، فعرب فيما بعد بالسين، غير معجمة بالسين، ومنها رواية: "سميت بالأندلس ابن طوبال بن يافث بن نوح لأنه نزلها"<sup>3</sup> والمنطقة التي تدعى الأندلس أو أندلوسيا اليوم هي منطقة واسعة تشمل جنوب إسبانيا.<sup>4</sup>

#### جغرافيتها

إنها كانت من أعظم البلاد الأوروبية ومن أجمل بقاع الأرض ذات طبيعة ساحرة جذابة إليها، وهي شبه الجزيرة التي تقع على الطرف الغربي من قارة أوروبا، طولها ألف ومائة ميل وعرضها نحو سته مائة ميل تحيط بها المياه من ثلاثة جوانب: من الغرب بحر الظلمات ومن الشرق بحر الروم ومن الجنوب بحر الزقاق، أما من الشمال تتصل حدودها إلى جبال البرانس الفاصلة بينها وبين فرنسا.<sup>5</sup> أما صورة الأندلس فإنها شكل مركن ذات ثلاثة أركان كالمثلث: ركناً الأول عند صنم قادس وثانية في بلاد جليقية بمقابل الجزيرة القرطاجنة وثالثها بمدينة أريونة، ومدينة برذيل<sup>6</sup> ويقول الأمير شبيب أرسلان: "أما الأندلس في ذاتها فشكل يحيط بها البحر من جميع جهاتها الثلاث".<sup>7</sup> وهذا البلد تقسم جغرافياً إلى قسمين: الأندلس العلوي والأندلس السفلي، فالعلياهي شمالي الوادي الكبير والسفلي جنوبية. كانت الأندلس أيام العرب تنحصر في إشبيلية وقرطبة وجيان وغرناطة وملحقاتها. وهي تقسم اليوم إدارياً (أو الأقاليم التي تشملها) هي المرية وغرناطة ومالقة وجيان وقرطبة وإشبيلية وقادس وأونبة.<sup>8</sup>

#### بيئتها:

كانت الأندلس بلاد واسعة الأنحاء والأطراف، ومختلفة الطبيعتات والبيئات، وشتى المناخات من إقليم إلى آخر، وجدت فيها أرض خصبة وأرض جدبة وفيها جبال وأودية وفيها أنهار وصحاري وذلك لامتدادها واتصالها من الشمال أوروبا ومن الجنوب بحدود أفريقيا، لكن معظم البلاد محدقة بالبحور والأنهار التي تروي خصبة وتعتمد الحياة الزراعية عليها وعلى الأمطار التي تنزل في منطقة الهضبة الوسطى لذلك تصلح لجمعية المزروعات التي توجد في مناطق العالم المختلفة، فالقمح والشعير والأرز والبقول والفاواكه والبرتقال والزيتون والكرום توجد كثيراً هناك<sup>9</sup> أما مناخها فهو في الشتاء شديد البرود وكتير العواصف، وربما أبيضت الأرض بتواли الثلوج، وفي أيام الصيف شديد الحرارة، لكن مناخها بصفة عامة أقرب إلى الإعتدال مائلاً إلى البرد، لذلك البلد مشهورة بحسن الطبيعة واعتدال المناخ، وقد أطنب المؤرخون في وصفها كمانقل أحمد المقري عن أبي عبيد البكري وصفها فقال: "الأندلس شامية في طبيتها وهوائها يمانية في اعتدالها واستواءها، هندية في عطرها وزكائها، أهوازية في عظم جبارتها، صينية في جواهر معادنها، عدنية في منافع سواحلها"<sup>10</sup> وقال الدكتور جودت الرکابي في وصف الأندلس: "منح الله تعالى الأندلس طبيعة فاتنة فكانت أغنى بقاع المسلمين منظراً وأوفرها جمالاً ترتفع فيها الجبال الخضراء وتمتد في بطاها السهل الواسعة وتجري فيها الجداول والأنهار وتغدر على أفنان أشجارها العنادل والأطياف وتنساب الماشية والأنعام في مراعيها الجميلة ويعملون الفلاحون في حقولها الخضراء ويعطر النسيم جوهاً المعبد وبساتينها

المشورة وقد تحدث عن جمالها كل من حلها.<sup>11</sup> وقال المقرى" أعلم أن بأرض الأندلس من الخصب والنصرة وعجائب الصنائع وغرائب الدنيا ما لا يوجد مجموعه غالباً في غيرها."<sup>12</sup> وبالجملة هذه هي البيئة الأندلسية التي مالت إليها النفوس ورغبت إليها القلوب لذلك من زارها استوطنه ومن لم يزورها حن إلى زيارتها.

### مساهمة المرأة في المجتمع الأندلسي

كانت المرأة عضواً فعالاً وجزءاً دواماً في المجتمع الأندلسي، وكان لها أحسن وضع حظت به كثيراً، وقامت في المجتمع على مكانة عالية وتمتعت بها تمتعاً بالغ، وكان لها في المجتمع حظ أوسع مما كانت عليه في البلدان العربية الإسلامية الأخرى، يقول فيه الدكتور مصطفى الشكعة: "والشاهد كلها تدل على أن المرأة في مجتمع الأندلس كانت أكثر قدرة على الحركة من قرينتها في مجتمع المشرق"<sup>13</sup>.

فالمرأة احتلت مكانة مرموقة في الأندلس، واستفادت منها وتمتعت بها قوة ونفوذاً، أما تعليم المرأة فكانت راجت في الأندلس بعد الفتح العربي، لأن في ظل الإسلام "طلب العلم فريضة على كل مسلم"<sup>14</sup> فلابد للمرأة أن تتعلم لأداء هذه الفريضة فتعلمت المرأة الأندلسية ورغبت في العلم والثقافة، وكان الرجال الأندلسيون قد توجهوا أيضاً إلى تعليم بناتهم وزوجاتهم فقررروا لهن معلمين ومؤديين، ولم يفرقوا في التعليم بين الولد والبنت، لذلك نالت المرأة نصيباً وافراً من العلم كما يقول شوقي ضيف: "حظيت المرأة في هذه الحركة العلمية بغير قليل من العلم والتعليم، ومعروف أن الإسلام يلزم أتباعه رجالاً ونساءً بأخذ قسط من التعليم، فكان طبيعياً أن تقبل المرأة الأندلسية عليه حتى تتعرف على فروض دينها وخاصة من العبادات حتى تحفظ أجزاء من القرآن وقد تحفظه جميعه، وكانت تتعلم بداخل الدور وكان الأمراء يختارون المؤديين لبناتهم ولجواريهم وكانت قصورهم تكتظ بهن".<sup>15</sup>

هكذا تعلمت المرأة الأندلسية وتثقفت ونضجت عقولها بالتعلم، وأحاطت جميع العلوم والأداب فأصبح عدد كبير من النساء عالمات وحافظات وأديبات وفقيهات وشاعرات وكاتبات وطبيبات، وقد شاركن في مجال التعليم والتربية، وكن يعلمون بنات جنسهن، فتعلمت أغلب عدد من النساء الأندلسيات ولم تبق هنا امرأة أمية إلا نادراً يؤكد محمد كرد على بقوله: "كان تعليم البنات شائعاً عندهم وكثيراً منهم يحفظن بضعة دواوين من دواوين العرب"<sup>16</sup>

وبذلك قد أكرمتها الرجل الأندلسي وبجلها تبجيلاً بالغاً حتى أنسد كثير من الشعراء في المرأة قصائد تظهر بها مكانتها العليا في قلوب الرجال.

كذلك وجدت المرأة لها جواً موافقاً للارتقاء الفكري وسمحة كاملة لازدهار الكامل من مظاهر حريتها أنها كانت تتلقى الرجال في ساحات العلم والأدب كما كانت تخرج لزيارة المساجد والأسواق برفقة جواريها والتنزه في الحدائق والبساتين وبالإضافة إلى ذلك كانت قد ساهمت في شئون الدولة والسلطة إلى جانب الرجل وتقلدت مناصب سياسية وامتهنت بالتجارة وأثبتت أن تتصف بالحكمة

وتحلى بحسن التدبير وعلو الهمة، وأن تستطيع حل القضايا والعقدات، وعبرت عن رأيها كلما استشيرت في أمور شتى، ويدرك صاحب النفح مثلاً واحداً من هؤلاء النساء، وهي كانت زوجة لقاضي لوشة الذي كثيراً ما كان يستقصي عليه الفصل في قضايا الناس فكان يدخل إلى زوجته يستنجد من رأيها أو بالحرى بحكمها فتشير عليه بما يحكم.<sup>17</sup>

ففي التاريخ أمثلة عديدة من تدخل النساء الأندلسيات في شئون الدولة ونفوذهن في الحكومة، نحو صبح أم الخليفة هشام من دهاء النساء في وقتها كانت حكمة الأندلس عقب إبنه الصغير. هذا هو دور الذي أدته المرأة الأندلسية المنسوبة من طبقة نساء الخاصة لأن جل ما وصلتنا من أنباء المرأة الأندلسية، تهتم بنطاق واسع بدراسة نساء الخاصة، أما فيما يخص نساء العامة فلungeons إلا شذرات قليلة مبعثرة داخل الكتب المختلفة، لكن هذا لا يعني أنهن يلزمون البيوت فقط أوكن سجينات الجدران الأربعية بل كن يخرجن لقضاء حوائجهن وكن يتعلممن ويرين الأجيال و منهم الأدباء والشعراء بحيث أهمياتهم ومربياتهم.

يبعد أن المرأة في الأندلس، جارية أو حرة، قد جارت الرجل في تدبير الأمور السياسية والشئون الداخلية في البيت جداً، بل كان للجواري الأندلسيات دور هام في المجتمع الأندلسي قد أدين الأدوار التي لاتنكر أو لا تقل عن الحرائر الأندلسيات، فكتبت سناء الشعيري في كتابها: "كانت الجواري في الأندلس تشارك بحمامات كبير في المناظرات الأدبية، وكن يشكلن جزءاً لا يتجزأ من البلاط الملكي ولاجرم أن الكل يعلم أن غالبية زوجات وأمهات الأمراء كن من الجواري"<sup>18</sup> وعندما بلغت الحضارة العربية والثقافة الأندلسية الإسلامية أوج الإزدهار كان لابد للإمرأة الأندلسية أن ترتفع فكرياً، فأقبلت عليها ولم تتخلق عن الرجل في المشاركة في النهضة الثقافية والحضارية. فتوجهت إلى الأدب وأقبلت على الشعر والثرثرة أكثر من سواهما من الفنون الأدبية لأنهما يترجمان ما في شعورها من العواطف الحساسة، ويعبران عن مكنونات ما في صدورها من المشاعر اللطيفة، فأنشدت القصائد وكتبت على معظم الموضوعات النثوية، وعالجت جل الأغراض الشعرية كالمدح والهجاء والغزل ووصف الطبيعة وغير ذلك، وعقدت المجالس الأدبية التي تشارك الرجال فيها واستفادوا منها كما يقول أحمد خليل جمعة في تأليفه: "فالمراة الأندلسية قد ساهمت في بناء صرح الأدب وتنميته وتزيينه وأثرت مجالسه بالمناظرات والمساجلات والمطارحات". ويقول من بعد: "لمعت أسماء كثيرة من النساء في جو الأندلس"<sup>19</sup>

فكان للمرأة دور مهم في الحياة الأدبية في الأندلس، كانت الكتابة شائعة بين النساء وأصبحن منهن كاتبات أو نسخات كما يكتب شوقي ضيف: "مما يدل على مكان المرأة الأندلسية من منزلة أن نجد بينهن كاتبات أو كما نقول الآن سكريترات للأمراء والخلفاء مثل مزنة كاتبة عبد الرحمن الناصر"<sup>20</sup> ويدل على ذلك ما حکى عبدالواحد المراكشي في كتابه أنه كان بمدينة قرطبة 170 أو 150 إمرأة تكتب بالخط الكوفي.<sup>21</sup>

أما المجال الديني فقد بلغت المرأة مكانة عالية في حفظ القرآن وتدبر الفقارة وعلم التفسير والقراءات والتجويد، وأسهمت في ازدهار هذه العلوم في البنات الأندلسية، وروي أنه كان في الأندلس ستون ألف حافظة للقرآن. وعرفت راضية مولاة عبدالرحمن بن محمد الناصر وفاطمة بنت يحيى بن يوسف المغافى فقيهات في عهد الخلافة، ومنها "عبدة" المدنية التي درست الفقه وقد أشتهرت بها. فجميع المصادر التاريخية الأندلسية تؤكد أنه كان للمرأة دور مميز في ارتقاء الثقافة وازدهارها وتطورها. ولاشك فيه أن ائحة الفرصة للمرأة الأندلسية في ميدان العلم والثقافة قد صقل شخصيتها ووسع آفاق تفكيرها وجعلها محكمة في مكانة مرموقه في مجتمعها<sup>22</sup> ولم تكن المرأة الأندلسية سجينه بيته بل شاركت الرجل في عدة مجالات وتباري معه شعراً ونثراً وأسهمت في صياغة مجتمع أندلسي متميز.

وبهذه المكانة الرفيعة والدرجة العليا للمرأة كثُر عدد النساء من الحرائر والجواري في بلاد الأندلس حتى كانت البيوت والقصور بها مملوءة بهن وخاصة بالجواري، كما يقول المؤرخ السيد عزيز الرحمن في كتابه:

"During the Caliphate period Cordova was flooded with female captives"<sup>23</sup>. لكن لهؤلاء الجاريات كان دور بارز ملموس في رقي الحركة الأدبية والعلمية والدينية، ولهن أسماء لامعات في المجتمع كالاعتماد جارية المعتمد، وزنة وكتمان جاريٍّ عبد الرحمن الناصر، ولبني، وطروب، وقمر، وفضل، وقلم وغيرها كثيرة. لذلك يضيف السيد عزيز الرحمن في كتابه قائلاً.

"The Andalusian women were excellent calligraphists'. At one time in the tenth century, there were 170 females calligraphists in the city of Cordova".<sup>24</sup>

فقصارى القول كانت المرأة في المجتمع الأندلسي سواء كانت حرفة أم كانت جارية ساهمت مسامحة عميقه في جميع مجالات من الأدب والعلم والدين وأحاطت بجميع فروعها ووجدت نصيباً طيباً وافراً منها، لكن المسهمات النسائية في أي مجال ظلت مهضومة الحقوق ومهميضة الجناح قد يما وحديثاً ولم يتوجه إليها كثير من الناس إلا قليلاً. فنريد أن نسلط الضوء على مساهمات المرأة الأندلسية كانت أرق عاطفة وشعوراً من الرجل وأنها تقدر على بيان ما يخطر في أفكارها من معان وما يجول في خواطرها من عواطف ومشاعر. وقد مثلت بقوة الحياة العاطفية في الشعر، وليس كل ما قالته موجوداً، فقد ضاع أكثره، وكثير من شعرها كان مهملاً من قبل المؤرخين.

الهومаш والمصادر

- <sup>1</sup> المقري،أحمد بن محمد،نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،تحقيق محمد مجي الدين عبدالحميد،ص131/131،مطبعة السعادة،مصر 1949
- <sup>2</sup> هيكل،أحمد مقصود،الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة،ص13الطبعة العاشرة،دار المعارف،القاهرة1986ونفح الطيب،ص1/130-141
- <sup>3</sup> نفح الطيب،ص130/1
- <sup>4</sup> الشكعة،مصطفى،الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه،ص15،دار العلم للملايين ،بيروت،1979.
- <sup>5</sup> شكيب أرسلان،الأمير،الحلل السندينية في الأخبار والآثار الأندلسية،الجزء الأول،ص70،المطبعة الرحمنية،مصر،1936.
- <sup>6</sup> نفح الطيب،ص130/1
- <sup>7</sup> الحلل السندينية في الأخبار والآثار الأندلسية،الجزء الأول،ص70
- <sup>8</sup> الأمين الريhani،المغرب الأقصى،ص439دار المعارف،مصر،1952
- <sup>9</sup> الأدب الأندلسي،ص14
- <sup>10</sup> نفح الطيب،ص1/125والبكري،أبو عبيد،جغرافية الأندلس وأوروبا،تحقيق د.عبدالرحمن علي،ص70
- <sup>11</sup> الدكتور جودت الركابي،الطبيعة في الشر الأندلسي،ص14مطبعة جامعة دمشق،1959.
- <sup>12</sup> نفح الطيب،ص125/1
- <sup>13</sup> الأدب الأندلسي،ص44
- <sup>14</sup> سنن ابن ماجة،الجزء الأول،ص81،رقم الحديث 224،مطبعة دار حياة الكتب العربية،بيروت
- <sup>15</sup> الدكتور شوقي ضيف،عصر الدول والإمارات،الأندلس،ص70،دار المعارف،القاهرة،1994.
- <sup>16</sup> محمد كرد علي،غlim الأندلس وحاضرها،ص87،المكتبة الأهلية،مصر 1923
- <sup>17</sup> نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،ص30/4
- <sup>18</sup> سناء الشعيري،المرأة في الأندلس،ص43،مطبعة الأمينة،الرباط،2009
- <sup>19</sup> أحمد خليل جمعة،نساء من الأندلس،ص12اليمامنة للطبع والنشر،دمشق
- <sup>20</sup> عصر الدول والإمارات،الأندلس،ص52
- <sup>21</sup> عبدالواحد المراكشي،المعجب في تلخيص أخبار المغرب،ص344،مطبعة الاستقامة،القاهرة ،مصر، 1949
- <sup>22</sup> الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه،ص47
- <sup>23</sup> Syed Aziz ur Rehman,The History of Islam p:570,Good Word Books,New Dehli,2006.
- <sup>24</sup> المراكشي،عبد الواحد،المعجب في تلخيص أخبار المغرب،ص344